الموضع لانه لعدمه قوله وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين وجاء بعده ولو شئنا لنذهبن
بالذي اوحينا اليك الى قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله
ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فلما كان ما قبل هذه الاية وما بعدها في وصف القرآن ناسب
ان يكون المراد بالروح المذكور في هذه الاية ايضا القرآن ولما استعظم القوم امر القرآن وسألوا انه
هل هو من جنس الشعر او الكهانة اجابهم الله تعالى بانه ليس من جنس كلام البشر وانما هو كلام ظهر
بامر الله تعالى ووحيه وتنزيله فقال قل الروح من امر ربي اي القرآن انما ظهر بامر ربي ووحيه
قوله ولعل اكثر الاشياء لا يدركه الحس جواب عما يقال سلمنا ان علم الانسان مستفيد من
حواسه لكن كيف يلزم منه ان معلومه شيئا قليلا نزرا بالنسبة الى معلومات الله ومعلومات
النفوس المجردة عن الحجب الطبيعية والغواشي الجسمانية واشار بقوله المعرفة لذاته الى ان
الانسان يجوز له ان يعلم شيئا من الالهيات على سبيل التشبيه والمقايسة بما شاهد في
عالم الشهادة كما يعلم الملائكة واحوال الاخرة بهذا الطريق قوله
فمحى باسره عن المصاحف والصدور اشارة الى جواب من زعم ان هذه الاية تدل على ان القرآن
مخلوق قال لان القديم لا يقبل الازالة والاذهاب لما تقرر من ان ما ثبت قدمه يمتنع عدمه
وتقرير الجواب ان المراد بالاذهاب ازالة العلم به عن القلوب وازالة النقش الدال عليه
عن المصاحف وذلك لا يوجب كون ذلك المعلوم المدلول بها عليه محدثا روى محيي السنة في
تفسيره عن عبد الله بن مسعود انه قال اقرؤوا القرآن قبل ان يرفع فانه لا تقوم
الساعة حتى يرفع قيل هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الناس قال يسرى عليه
ليلا فيرفع ما في صدورهم فيصبحون لا يحفظون شيئا ولا يجدون في المصاحف شيئا ثم يفيضون في الشعر
وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث نزل له دوي
حول العرش كدوي النحل فيقول الرب تعالى ما لك فيقول يا رب أتلى ولا يعمل بي أتلى ولا
يعمل بي قوله من يتوكل علينا من تصيير وكيلا متوكلا علينا باسترداده فالمتوكل والموكل بمعنى قوله
بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب يعني انه على تقدير ان يكون الاستثناء منقطعا
يكون استدراكا عن قوله ولئن شئنا لنذهبن وعلى تقدير ان يكون متصلا يكون المستثنى منه قوله
وكيلا بناء على ان الرحمة من جنس الوكيل مندرجة فيه قال ابو البقاء الا رحمة مفعول له اي حفظناه
عليك للرحمة ويجوز ان يكون مصدرا اي لكن رحمناك رحمة قوله ولولا هي اي اللام الموطئة
وان القسم مقدر معها لجاز ان يكون قوله لا يأتون جواب الشرط غير مجزوم بناء على ان حرف الشرط
اذا لم يعمل فيما هو اقرب منها فلان لا يعمل في الابعد اولى كما في البيت فانه رفع يقول فيه مع انه جوابا

جواب الشرط لما ذكرنا قوله ولعله لم يذكر الملائكة الخ يعني ان هذه الاية دلت على وقوع التحدي مع
الجن والانس فلما ظهر عجز كل واحد من الفريقين عن اتيان مثله ظهر ان القرآن ليس من نظم البشر
ولم يلزم منه كونه وحيا الهيا لجواز كونه من نظم الملائكة وانما يظهر ذلك لو ذكر الملائكة ووقع
التحدي مع جميع الفرق الثلث فلم لم يذكر الملائكة اجاب عنه اولا بان المقصود من التحدي
دفع شبهة القوم باحتمال كونه كلام البشر والجن ولم يذهب احد منهم الى احتمال كونه تأليف
الملائكة ونظمهم فلا حاجة الى تحقيق كونه معجزا بالنسبة الى الملائكة فلذلك لم يذكر
الملائكة في مقام التحدي وثانيا بانه لا وجه لذكر الملائكة في هذا المقام من حيث كونهم
وسائط في اتيانه ونزوله الى البشر قوله ويجوز ان يكون الاية تقريرا لا بيانا
لكونه معجزا بعد الامتنان بتنزيله ثم بابقائه كما يفهم ذلك من التقرير السابق قوله
كررنا بوجوه مختلفة من كل معنى اشارة الى ان قوله تعالى من كل مثل مفعول صرفنا وكلمة
من فيه زائدة في المفعول وقد جوز الكوفيون والاخفش زيادتها في الاثبات والمعنى
ولقد صرفنا تقرير كل معنى من الترغيب والترهيب والوعيد والمواعظ وتقرير الدلائل
الدالة على حقية ما هو الحق في باب الاعتقاد والعمل وبطلان ما هو الباطل منهما من
وجه الى وجه وكررنا تقريره بوجوه مختلفة ليذكروا ويذعنوا الحق فابى اكثر اهل مكة
الا جحودا للحق واصرارا على الكفر والعناد قوله وانما جاز ذلك يعني ان قوله الا كفورا مستثنى
مفرغ في الكلام الموجب وقد تقرر ان عدم ذكر المستثنى منه انما يجوز في غير الموجب ولا يجوز في
الموجب لفساد المعنى فكان القياس ان لا يجوز ان يقال ابى اكثر الناس الا كفورا الا انه
جاز من حيث ان قوله ابى اكثر الناس في قوة لم يفعلوا او لم يرضوا الا كفورا وفسر الكفور
بالجحود لانه تعالى اثبت نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ببيان كون القرآن معجزا وانه عليه السلام اظهره على وفق
دعواه وحينئذ يتم الدليل على كونه نبيا صادقا لان كل من ادعى النبوة واظهر المعجز على وفق دعواه
فهو نبي صادق فينتج انه عليه السلام نبي صادق وليس من شرط كونه نبيا صادقا ان يأتي المعجزات الكثيرة
وتواليها لانه يستلزم ان لا ينتهي الامر فيه الى احد ينقطع عنده عناد المعاندين لانه كلما اتى
الرسول بمعجز اقترحوا عليه معجزا اخر لا الى نهاية فكفار مكة بعد ان ظهر كون القرآن معجزا
التمسوا منه عليه السلام ستة انواع من المعجزات فاقتراحهم هذا ليس الا تعنتا وجحودا قوله وقرأ الكوفيون
ويعقوب تفجر بفتح التاء وسكون الفاء وضم الجيم خفيفة مضارع فجرت الماء فانفجر
بمعنى بجسته فانبجس ويؤيد هذه القراءة كون الينبوع واحدا وقرأ الباقون بضم التاء وفتح
الفاء وكسر الجيم المشددة مضارع فجر للتكثير واتفقوا على ان الثانية بالتشديد لتصريح مصدرها

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)